Al-Logha, ٧, ٢٠٠٨

الدراسات العربية حول الخطابة السياسية

عرض نقدي*

عماد عبد اللطيف

جامعة القاهرة

This article reviews Arabic studies on political speeches. Its goal is to classify these studies, review their methodologies and trace their influences.

The claim is that these studies follow two trends: a traditional and a contemporary one. The author defines the core characteristics of each approach by investigating the studies representing it. This investigation includes analyzing their theoretical background, data and methods of analysis. The article concludes by explaining the key factors that affect Arabic studies on political speeches and where they may be headed.

مقدمة

الخطابة السياسية أحد أهم أشكال لغة السياسة، وأكثرها تأثيرا. وقد حظيت على مدار التاريخ باهتمام كبير من رجال السياسة الممارسين لها ومن العلماء والباحثين الذين انشغلوا بدراستها. ولم يتراجع

* قُدمت بعض الأفكار التي يتضمنها هذا البحث في أطروحتي للدكتوراه بعنوان "البلاغة السياسية: تحليل لمختارات من خطب السادات". وأتقدم بشكر جزيل للصديق/محمد عبد التواب، المدرس المساعد بكلية دار العلوم، جامعة الفيوم على ملاحظاته المفيدة على صياغة أولية.

هذا الاهتمام في العصر الحديث، بل تنامى واطَّرد، خاصة مع انتشار الوسائط الإعلامية، وبزوغ مفهوم الجماهير.

يحاول هذا البحث تقديم مراجعة نقدية للدراسات العربية التي اختصت بدراسة الخطابة السياسية. الهدف من هذه المراجعة هو الوقوف على ما قدمته هذه الدراسات لحقل دراسة الخطابة السياسية، والكشف عن الفجوات التي تركتها دون معالجة والمشكلات والعوائق التي واجهتها. ومن ثمَّ فإن هذه المراجعة تحاول أن ترسم خريطةً للحقل المعرفي للدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية بأقصى ما تستطيع من دقة وشمول. هذه الخريطة ربما تكون مفيدة للراغبين في الاطلاع على بُعد من أبعاد واقع الدراسات اللغوية العربية بوجه عام، ولهؤلاء الراغبين في الانخراط في تحليل الخطابة السياسية العربية بوجه خاص. ومن الضروري التأكيد على أن هذا البحث لا يقدم تأريخا لهذا الحقل المعرفي أو مسحا ببليوجرافيا شاملا للكتابات التي تنتمي إليه؛ بقدر ما يقدم عرضا نقديا لبعض هذه الكتابات.

١. مناهج دراسة لغة السياسة ومقارباتها

احتفظت البلاغة (العربية والأوروبية) بملف دراسة الخطابة السياسية قرونا طويلة. وتوجهت عنايتها بالأساس إلى تصنيف الخطب السياسية ووصف خصائصها اللغوية، وتنظيم شروط إنتاجها، والوقوف على سياقاتها، ومعايير وشروط إنجاز وظائفها. لكن النصف الثاني من القرن العشرين شهد تطورا ملفتا في أدوات تحليل الخطابة السياسية وأهدافه. وقد جاء التأثير الأساس من خارج دائرة البلاغة. فقد أصبحت

الدراسات العربية حول الخطابة السياسية

الخطابة السياسية موضوعا للبحث في حقول مختلفة مثل علوم الاتصال وعلوم اللغة. وظهرت في إطار هذه الحقول مناهج methods ومقاربات approaches متعددة لتحليلها. وتزامن ذلك مع انتشار وسائل الاتصال الجماهيري، وما أدت إليه من اتساع مدى تأثير الخطابة السياسية، وإحداث تحولات عميقة في بنيتها ولغتها ووظائفها. وفي الوقت الراهن تتعدد مناهج دراسة لغة السياسة ومقارباتها ذات المنطلق اللغوي.

قدم لاندتشير (١٩٩٨) حصراً للعلوم والمناهج والمقاربات المعنية بدراسة الخطاب السياسي-والذي تقع الخطابة السياسية في القلب منه-، أورد فيه العلوم والمناهج والمقاربات الآتية:

١- علم البلاغة **Rhetorics**

٢- الاتصال السياسي **Political Communication**

٣- علم النفس السياسي و الدعاية **Political Psychology and Propaganda**

٤- علم المفردات السياسية **Political Vocabulary**

٥- علم الدلالة التاريخي **Historical Semantics**

٦- علم المعجم السياسي **Political Lexicology**

٧- الدراسات الألمانية للغة السياسية **German Political Language Studies**

٨- دراسات لغة المؤسسات الرسمية **Official Languages** (القضاء - مؤسسات الحكم..)

٩- علم اللغة الاجتماعي **Sociolinguistics**

١٠- تحليل الخطاب **Discourse Analysis**

١١ – فلسفة اللغة The Philosophy of Language

١٢ – ما بعد الحداثة Post –Modernism

تكشف هذه القائمة عن ثراء الحقل المعرفي المعني بدراسة لغة السياسة في الغرب. وليس الشأن كذلك في العالم العربي. فكثير من المناهج والعلوم التي أوردها لاندتشير غير مطروقة من قبل الباحثين العرب.

في الصفحات الآتية سوف أقوم بحصر المناهج التي استخدمتها الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية، وقياس ممارساتها التطبيقية على الأسس النظرية التي تستند إليها. وسوف أتعرض لمدى الانسجام بين الإطار النظري والإجراءات المستخدمة في التطبيق، وفيما بينها وبين الأهداف التي تضعها كل دراسة لنفسها. كذلك تحديد العلاقة القائمة بين هذه الدراسات، وما إذا كانت تمثل تراكما معرفيا. وسوف أختتم البحث بمحاولة تبرير واقع ندرة الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية، وتقديم تصور محتمل –أو مأمول– لمستقبل هذه الدراسات.

٢. توجهات دراسة الخطابة السياسية في الدراسات العربية

يمكن حصر الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية في العالم العربي في توجهين أساسين. الأول يستند بأشكال مختلفة إلى التراث العربي المعني بدراسة الخطابة، في حين يستند الثاني –إنْ قولا أو عملًا– إلى توجهات غربية حديثة هي التداولية وتحليل الخطاب. سوف أطلق على التوجه الأول: التوجه التقليدي في دراسة الخطابة السياسية، وعلى الثاني: التوجه المعاصر في دراسة الخطابة السياسية. ويستند الوصف بالتقليدية أو

المعاصرة إلى الإطار الزمني الذي ينتمي إليه المنهج أو المقاربة التي تصرح الدراسة باستخدامها. فالوصف بالتقليدية أو المعاصرة لا يحمل أية دلالة قيمية أو تفضيلية. وفي الواقع فإن الصفتين تحملان –في استخدامهما العام– معاني وإيحاءات مركبة لا أقصد أيًّا منها في استخدامي الخاص لهما.

٢. ١. توجه الدرس التقليدي للخطابة السياسية

تتعدد دراسات التوجه الأول المعنية بالخطابة العربية بعامة، والخطابة السياسية بوصفها أحد أهم مجالاتها. بعض هذه الدراسات يُعنى بالتأريخ للخطابة العربية؛ (مثل: النُّص، ١٩٦٣)، أو التعريف بأنواعها وخصائصها وشروطها، وبعض نماذجها، وأعلامها (مثل: أبو زهرة، ١٩٨٠)، أو المقارنة بينها وبين الخطابة اليونانية (مثل: جمعة، ١٩٩٩)، أو تقديم نصائح وتوصيات للراغبين في اكتساب بعض مهارات الخطابة؛ (مثل: الحوفي، ١٩٩٩). أو تقديم تحليل لنماذج من الخطب السياسية في عصر ما (مثل: مرزوق، ١٩٦٧)[1].

سوف أتوقف عند دراسة عبد الصبور مرزوق (الخطابة السياسية في مصر من الاحتلال البريطاني إلى إعلان الحماية، ١٩٦٧)؛ لأنها تنفرد بدراسة الخطابة السياسية. بالإضافة إلى أنها تمثل خير تمثيل

١- استبعدتُ الدراسات التي تعالج الخطابة السياسية من منطلقات غير لغوية أو بلاغية، مثل دراسة محمد عباس فهمي "من أجل وحدة وطنية حقيقية وفي سبيل انتصار نهائي على العدو: مناقشة نقدية لخطب الرئيس السادات". دار الحقيقة للنشر، مصر، ١٩٧٦.

توجها عربيا خالصا في دراسة الخطابة السياسية؛ وهو توجه وإنْ لم يتطور فإنه ما يزال يحمل الكثير مما يمكن الإفادة منه.

يمكن اعتبار دراسة مرزوق أول دراسة مصرية -وربما عربية- تستقل بدراسة الخطابة السياسية. وقد اختار المؤلف دراسة الخطابة السياسية في فترة مهمة من تاريخ مصر الحديث؛ هي الفترة الواقعة ما بين الاحتلال البريطاني وإعلان الحماية عشية قيام الحرب العالمية الأولى. والدراسة يغلب عليها الطابع التأريخي، فهي توجه اهتمامها بالأساس إلى إبراز الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سببًا في ظهور الخطابة السياسية وتطورها أو خمودها واختفائها. وقد كاد يؤدي ذلك إلى تحولها من دراسة في الخطابة السياسية إلى دراسة في موضوعات الخطابة السياسية في تلك الفترة، وفي السياق التاريخي لها؛ أو بالأحرى دراسة في التجلي الخطابي للحركة الوطنية المصرية التي يجعلها المؤلفُ المؤثرَ المهيمن على الخطابة في ذلك العصر. أما الخطابة من حيث هي نشاط لغوي فلم تحظ بنفس مساحة الاهتمام التي حظي بها السياق التاريخي المصاحب لها. وانصرف هذا الاهتمام المحدود إلى مجالين؛ الأول ما أطلق عليه المؤلف 'الأسلوب الخطابي'؛ أي السمات التي تتميز بها خطب كل خطيب من الخطباء السياسيين الذين تدرسهم؛ مع التركيز على أساليب التأثير والإقناع التي تستخدمها. أما المجال الثاني فهو الربط بين بناء الخطبة (اللغة وأساليب التأثير والإقناع)، وطبيعة المخاطَبين (مصريون أم أجانب، شباب أم شيوخ، عامة أم جمهور مخصوص).

لم يصرح المؤلف بأنه يطبق منهجا بعينه في دراسته للخطب السياسية. ويبدو ذلك طبيعيا في سياق التأليف الأكاديمي السائد أثناء تأليف الكتاب، حين لم يكن غياب تحديد منهج البحث خللا كبيرًا كما هو الأمر الآن. لكن المؤلف لم يؤصِّل أو يُنظِّر للإجراءات التي يستخدمها في دراسته. وهي إجراءات تعود بشكل مباشر إلى التراث العربي البلاغي وإلى التراث العربي المعني بالخطابة، المتأثر بدوره بأفكار أرسطو حولها. فقد وظف المؤلِّف بعض المعارف القديمة المتعلقة بالظواهر البلاغية في دراسته لما أسماه بالأسلوب الخطابي. كما أفاد من أبرز موضوعات حقل دراسات الخطابة ذات التأثير الأرسطي مثل أساليب الإقناع والحِجاج وبناء الخطبة وسياقها الذي يشمل الزمان والمكان والمتكلم والمخاطَب والظروف الباعثة على الخطابة وبعض استجابات الجمهور الفعلي الذي تلقاها. استخدم المؤلف مقاربة وصفية اهتمت بوصف المشهد الخطابي الفعلي الذي تم فيه تداول الخطبة، وهو ما يمثل نقطة تميز بالمقارنة بالدراسات القديمة التي يتبنى أغلبها منهجا معياريا يُعنى فيه الدارس بتركيب المشهد الخطابي المثالي، والإرشاد إلى طرق الوصول إليه.

يمكن بلورة الإجراءات التي استخدمها المؤلف في تحليل الخطب في:

١) تحديد السياق التاريخي للخطبة موضع الدراسة، والتركيز على بواعثها وبعض استجابات المخاطَبين بها.

٢) الربط بين طبيعة لغة الخطبة، وطرق إقناعها وبنائها من ناحية، وطبيعة مستمعيها والموقف الداعي لها من ناحية أخرى.

٣) تحديد أهم خصائص الأسلوب الخطابي للخطيب موضع الدراسة.

٤) تتبُّع الدور الذي أدته الخطبة في خدمة قضايا التحرر السياسي، وإنهاض الشعب المصري.

وقد استطاع المؤلف تقديم صورة دقيقة لتطور الخطابة السياسية في مصر في الفترة التي تغطيها الدراسة. كما وُفِّق في بلورة بعض السمات الخطابية المهمة لهذه الخطب. لكن أهم ما قدمته الدراسة، هو قدرتها على اختبار فرضيتها وإثباتها. هذه الفرضية هي أنه توجد علاقة طردية بين 'نشاط' حركات التحرر الوطني، و'نشاط' الخطابة السياسية.

تقوم دراسة (مرزوق) على مسلمة أساسية هي أن الخطابة السياسية "لم تخن الشعب يوما، ولم تقف في صف أعدائه"[٢]. وقد ألقت هذه المسلمة بظلالها على تقييم الدراسة الإيجابي والمتحمس للخطابة السياسية. وقد أدى ذلك إلى غياب أي نقد للخطب المدروسة؛ سواء على المستوى اللغوي، أو مستوى الأسلوب الخطابي، أو مستوى التأثير الذي تُحدثه في الآخرين. لكن غياب هذا النقد لا يعني غياب الوعي بإمكانية أن "تخون الخطابة الشعب، وتقف في صف أعدائه" بمفردات مرزوق، بل إنه يؤكد أن ملايين البشر "سيقت إلى الفناء مأخوذة بالبيان الساحر للقائد والعظيم"، وأن كثيرا من الحقوق "قد ضُيِّعت في ضجيج الكلمة!"[٣]. وربما كان السبب وراء هذا التقييم الإيجابي للخطابة

٢- انظر، مرزوق، عبد الصبور. (١٩٦٧). الخطابة السياسية في مصر من الاحتلال البريطاني إلى إعلان الحماية. دار الكاتب العربي، القاهرة، ص ٦.

٣- نفسه، ص٧.

السياسية هو الدور الوطني العظيم الـذي قـام بـه معظـم الخطبـاء الـذين تناولتهم الدراسة، أمثال مصطفى كامـل ومحمـد فريـد وعبـد الله النـديم. وهو ما جعل الدراسة معنيـة بالكـشف عـن دور الخطابـة بوصـفها أداة للحرية والتحرير، وليس بوصفها أداة للقهر والاحتلال.

لم يتم البناء على الأساس الـذي قدمتـه دراسـة مـرزوق. ذلـك الأساس الذي كان مـن الممكـن أن يُـستكمل في اتجـاهين؛ الأول تطـوير أدوات التحليل المستمدة مـن البلاغـة العربيـة، والآخـر دراسـة النتـاج الخطابي في فترات زمنية أخرى بخلاف الفترة التي عالجهـا. غـير أن ذلـك لم يحدث. ومع بداية ثمانينيات القرن العشرين بدأ ظهـور توجـه آخـر يـستند إلى منطلقـات غربيـة، اسـتهدف إنجـاز دراسـات في تحليـل الخطـاب السياسي. وكانت الخطابة السياسية مادة أساسية لهذا التوجه.

٢. ٢. توجه الدرس المعاصرة للخطابة السياسية

فيما يتعلق بالدراسات العربية 'المعاصرة' الـتي تتخـذ مـن منـاهج أو مقاربات غربية أداة لها في تحليل الخطابة الـسياسية[٤]، يوجـد عـدد مـن الدراسات تعلن جميعا استخدامها لتوجه أو آخـر مـن توجهـات التداوليـة أو تحليل الخطاب. هذه الدراسات هي:

٤- هناك عدد من الدراسات العربية التي استخدمت مقاربات معاصرة في تحليل الخطاب السياسي، تطبيقا على مدونات أخرى غير الخطب السياسية، من أهمها دراسة العمري، محمد. (٢٠٠٢). 'دائرة الحوار ومزالق العنف: كشف أساليب الإعنات والمغالطة، مساهمة في تخليق الخطاب'، دار إفريقيا الشرق، المغرب؛ ودراسة المسدي، عبد السلام. (٢٠٠٧). 'السياسة وسلطة اللغة'، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة.

١- دراسة د/ مارلين نصر أبو شديد (١٩٨١) بعنوان "التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر: دراسة في علم المفردات والدلالة".

٢- دراسة د/ عبد العليم محمد (١٩٩٠)، بعنوان "الخطاب الساداتي: تحليل الحقل الإيديولوجي للخطاب الساداتي".

٣- دراسة د/ أميمة مصطفى عبود (١٩٩٣)، بعنوان "قضية الهوية في مصر في السبعينيات: دراسة في تحليل بعض الخطب السياسية".

٤- دراسة د/ أحمد وِلد سيدي (١٩٩٨) "تحليل الخطاب السياسي: دراسة اثنوغرافية-اتصالية في الخطاب السياسي الموريتاني".

٥- دراسة د/محمود عكاشة (٢٠٠٢) "لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال".

٦- دراسة د/ حمدي بخيت عمران (د.ت) بعنوان "تحليل الخطاب السياسي: دراسة تطبيقية على كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك حول الأزمة العراقية ١٩ مارس ٢٠٠٣".

الدراسات الست تنتمي إلى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين. خمس منها كانت في الأصل رسائل جامعية؛ اثنتان منها قُدِّمتا لجامعتين بباريس، وثلاثة أخر تتوزع على جامعتي القاهرة وعين شمس، ومعهد البحوث والدراسات العربية. أما الدراسة الخامسة فهي بحث قُدم للترقية في الأكاديمية المصرية. الدراسات الأربع الأوَل قدمها متخصصون في العلوم

السياسية، في حين قدَّم الدراستين الأخيرتين متخصصان في الدراسات اللغوية. ويمكن اعتبار دراستي مارلين نصر (١٩٨١) وعبد العليم محمد (١٩٩٠) أهمها من حيث عمق التأسيس النظري الذي تستندا إليه، ووضوح المناهج والإجراءات المستخدمة، والانسجام بين التأسيس النظري والتحليل. ولذلك فسوف يُخصص لكلٍ منهما مراجعة خاصة. وفي المقابل سوف تُقدَّم بعض الملاحظات على المؤلفات الأخرى.

٢-٢-١ "التصور القومي في فكر عبد الناصر": دراسة المفاهيم السياسية

ربما تكون دراسة نصر باكورة الدراسات العربية في حقل تحليل الخطاب السياسي. وعلى الرغم من ذلك فقد اتسمت بقدرٍ عالٍ من التماسك المنهجي. وربما كانت الصفتان السابقتان؛ أعني الريادة والتماسك المنهجي، وراء التأثير الممتد الذي مارسته هذه الدراسة على ما تلتها من دراسات. ويمكن أن نلحظ هذا التأثير بوضوح في اعتماد معظم الدراسات اللاحقة، بدرجات وصيغ مختلفة، على التأسيس النظري الذي قدمته لمناهج تحليل الخطاب السياسي. والدراسة كانت في الأصل أطروحة للدكتوراه، تقدمتْ بها إلى جامعة باريس ٤، في عام ١٩٧٩، ثم قامت بترجمتها، ونشرها ضمن منشورات مركز دراسات الوحدة العربية في عام ١٩٨١.

عالجت نصر في دراستها مفهوما مركزيا في الإيديولوجية الناصرية هو مفهوم 'القومية'. وقد استعرضت المناهج الكمية والكيفية التي استُخدمت منذ أواسط الستينيات حتى أواخر السبعينيات في تحليل المفاهيم الإيديولوجية. ثم قامت بتحديد المصطلحات الإجرائية التي تستخدمها، مميِّزة بين 'المنهج'

و'الأسلوب'، وبين 'المنهج' و'المقاربة'. وأوضحت أنها سوف تستخدم في إنجاز تحليلاتها منهجا من المناهج الكيفية المستخدمة في تحليل الخطاب هو منهج تحليل حقول الدلالة (**Analyse des champs sémantiques**)، إضافة إلى مقاربتين هما ١) الحقول المرجعية (**Champs référentiels**)، ٢) مسار البرهنة (**argumentation**). ثم قامت بتطبيق إجراءات مستمدة من المنهج والمقاربتين السابق الإشارة إليهما في تحليل نصوص عبد الناصر؛ وبشكل أساس في تحليل خطبه السياسية.

اتسمت دراسة نصر بالإحكام المنهجي، والانسجام بين النظرية والتطبيق، أو بين ما تقوله الدراسة وما تفعله. وعلى الرغم من أن الدراسة قديمة –بالقياس إلى التطور الهائل في حقل تحليل الخطاب السياسي في العقدين الأخيرين– فإن أبواب الإفادة منها لا تزال مفتوحة. ويرجع ذلك من ناحية إلى أن دراسة المفاهيم الأساسية في الخطاب السياسي للقادة العرب المؤثرين –وهو ما قامت الدراسة بفعله فيما يخص مفهوم القومية لدى عبد الناصر– هو مشروع لم يُنجز عربيا بعد على الرغم من أهميته الكبيرة. كما أن بعض الأدوات التي استخدمتها لا تزال تستخدم –بتكييفات وتطويرات معاصرة– في التحليل المعاصر للخطاب السياسي؛ خاصة نظريات الحجاج أو ما أطلقتْ عليه 'مسار البرهنة'.

٢–٢–٢ "تحليل الحقل الإيديولوجي" ونقد لغة السلطة

الدراسة الثانية التي تُعد علامة في حقل تحليل الخطاب السياسي العربي هي دراسة عبد العليم محمد (١٩٩٠)، وهي في الأصل أطروحته للدكتوراه، التي تقدم بها لجامعة باريس العاشرة. وقد حدد المؤلف هدفه بـ"دراسة الخطاب

الساداتي، والتعرف على مقترحاته ومفاهيمه في ترابطها الداخلي البنائي، ووظائفها في الواقع السياسي والاجتماعي، وكذلك في الحشد والتعبئة والإدماج، والالتفاف حول التناقضات" ص٨. وقد اتخذت الدراسة من خطب السادات مادة أساسية لها.

بعد أن قدم المؤلِّف خريطة موجزة للمناهج والمقاربات التي تعمل في حقل تحليل الخطاب السياسي —مستفيدا من الخريطة التي قدمتها مارلين نصر (١٩٨٠)– قدم نقدا نظريا وتطبيقيا موجزا لهذه المناهج. وانتقل من ذلك إلى تقديم عرض مختصر للأسس التي يقوم عليها 'منهجه' في التعامل مع الخطاب الساداتي، الذي استفاد فيه من إجراءات نقد الأيديولوجيا في الأدبيات الماركسية؛ خاصة كتابات لويس ألتوسير[٥]. وعلى الرغم من أن هذا العرض كان موجزا إلى درجة الاختزال، فإنه رسم –إلى حد كبير– الإطار الذي تتحرك فيه الدراسة، وكشف عن الطريقة التي تتبعها في التعامل مع النصوص. وفي القسم التطبيقي التزم المؤلف بالإطار النظري الذي وضعه لدراسته. وجاءت تحليلاته منسجمة مع الإجراءات التي اقترحها من ناحية، ومنجزةً للأهداف التي وضعتها الدراسة لنفسها من ناحية أخرى.

ربما تكون دراسة عبد العليم محمد أول دراسة عربية في نقد خطاب سياسي عربي استنادا إلى مقاربات تنتمي إلى تحليل الخطاب. وعلى الرغم من أن الدراسة ركزت على البعدين المعجمي والدلالي فحسب، وأنها لم تنخرط في تحليلات لغوية؛ فإنها استطاعت في بعض الأحيان أن تكشف عن الدور الذي لعبه

٥- تتبنى دراسة عبد العليم مفهومًا ماركسيًا للإيديولوجيا. فهو يتعامل معها بوصفها شكلاً من أشكال الوعي الزائف يستهدف فرض وتعزيز سيطرة شريحة اجتماعية ما على بقية شرائح المجتمع.

الخطاب في تبني شريحة كبيرة من المواطنين المصريين 'الأيديولوجيا الساداتية' ودفاعهم عنها على الرغم من أنها تتحرك ضد مصالحهم.

يمكن صياغة السؤالين الأساسين للدراسة في: ١) ما خصائص إيديولوجيا السادات؟ ٢) ما دور خطابه السياسي في تشكيلها؟ وقد كان الاعتماد على نقد الأيديولوجيا فاعلا في الإجابة عن السؤال الأول. لكنه لم يكن بمفرده قادرا على الإجابة عن السؤال الثاني. فالخطاب لغة، ولكي نكشف الطريقة التي يُنجز بها خطاب ما وظائفه لا مفر من الانخراط في تحليل لغوي تفصيلي للنصوص والكلام الذي يشكل هذا الخطاب. ومن هذه الزاوية يمكن القول إن دراسة عبد العليم محمد —مثل دراسة مارلين نصر- لم تنخرط في تحليل لغوي متعمق. وربما يرجع ذلك إلى المنظور الخاص بكلتا الدراستين. فكلتاهما تنتمي إلى حقل العلوم السياسية، تحركهما أسئلة تقع في قلب العلوم السياسية، وكانت المناهج اللغوية مجرد أدوات لمقاربة بعض هذه الأسئلة.

٢-٢-٣ دراسات أخرى

تتخذ الدراسات الخمس الأخرى من الخطابة السياسية مادة لها. وتتنوع المناهج التي تعلن هذه الدراسات استخدامها. فدراسة عبود (١٩٩٣) تطبق إجراءات مستمدة من التداولية؛ خاصة نظرية أوستن حول أفعال الكلام. أما دراستي ولد سيدي (١٩٩٨)، وعكاشة (٢٠٠٢) فيعلنان استخدامهما لمنهج 'اثنوجرافيا الاتصال'، كذلك تدعي دراسة (عمران) أنها تستخدم 'تحليل الخطاب'.

توجد فجوة عميقة بين التنظير والممارسة في الدراسات الثلاث الأخيرة. ففي حين يُعلَن في القسم النظري من كل منها عن استخدام منهج أو مقاربة

معينة، تأتي الممارسة منفصلة تماما عن هذا المنهج أو هذه الممارسة. فدراسة ولد سيدي تعلن أنها سوف تتخذ من اثنوجرافيا الاتصال منهجا للتحليل. وعلى الرغم من الجهد الكبير المبذول في القسم التطبيقي فإنه لم يتم توظيف أيٍّ من إجراءات اثنوجرافيا الاتصال فيه، واقتصر هذا القسم الذي يقرب من مائتي صفحة على تفريغٍ إحصائي لبعض الظواهر اللغوية الموجودة في الخطب، وتقديم تمثيلات لها، تُذيَّل غالبا بتعليق من التعليقات التي تنتمي إلى البلاغة العربية المدرسية في التعليق على مثل هذه الظواهر. ويبدو أن السهولة النسبية التي يمكن أن يُستنسَخ بها مثل هذا التحليل كانت وراء الاعتماد عليه في دراسة أخرى. فقد أعلنت دراسة عكاشة (٢٠٠٢) في مفتتحها أنها سوف تستخدم منهج اثنوجرافيا الاتصال، واستندت إلى صيغة مختزلة من التأسيس النظري الذي قدمه ولد سيدي، واستأنست بطريقته في التحليل التي هي مزيج من إحصاء البيانات اللغوية، والتعليق البلاغي التقليدي عليها. وانتهت دون أن يطبَّق أيٌّ من إجراءات منهج اثنوجرافيا الاتصال.

أما دراسة عمران فتعلن في قسمها النظري استخدام منهج تحليل الخطاب. لكنها لا تحدد مقاربة خاصة من المقاربات العديدة التي تعمل في إطار تحليل الخطاب؛ وإنما تكتفي بحشد سلسلة متصلة من النصوص المنقولة عن كتابات وسيطة تتضمن معلومات تعريفية أولية بتحليل الخطاب، تتجاور فيها نصوص متعارضة. أما الجانب التطبيقي من الدراسة فيبدو مقطوع الصلة كلية عن الجانب النظري. وهو بدوره لا يتضمن سوى إحصاءٍ لتكرار بعض الظواهر اللغوية التي لا يجمع بينها رابط. ويذيَّل كل إحصاء بجملة متكررة تفسر السبب وراء مجيء تكرار الظاهرة على هذا النحو دون غيره، وفي معظم الأحوال يذكر

المؤلف أن السبب هو حكمة الخطيب (الرئيس) الذي يضع كل شيء في موضعه ومكانه المناسب كأبلغ ما يكون!

٣. الدراسات العربية حول الخطابة السياسية: تبرير الندرة

الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية العربية الحديثة قليلة عدديا إلى حد الندرة. هذا الوصف بالندرة قائم بالمقارنة -أولا- بالدراسات العربية التي عُنيت بدراسة الأدب المتخيل شعرًا أو نثرًا. وبالمقارنة -ثانيا- بالدراسات التي أنجزت وتنجَز عن الخطابة السياسية في لغات أخرى[٦]. وبالمقارنة -أخيرا- بالدراسات الأجنبية التي عُنيت بدراسة الخطابة السياسية العربية[٧]. ويمكن القول -تمثيلا لهذه الندرة- إن ما كُتب عن أيٍّ من مشاهير الأدب العربي قديمه أو حديثه ربما يتجاوز كل ما كتب عن خطب كل السياسيين العرب[٨]. وذلك على الرغم من التأثير الكبير الذي تُحدثه هذه الخطب في عدد ضخم من الأفراد، بل في مصائر شعوب. إضافة إلى ثرائها الكمي والكيفي؛ وهو ما يمكن الوقوف على مظاهره

٦- على سبيل المثال، يوجد في مكتبة الكونجرس الأمريكي تحت عنوان الخطابة السياسية ٤٧٧ مادة في الفهرس الآلي. (انظر، http://catalog.loc.gov/cgibin/Pwebrecon.cgi?Search_Arg=political+oratory، تاريخ الدخول، الثالثة بتوقيت جرينتش، ٢٠٠٨/٩/٥).

٧ -يوجد عدد من الدراسات الغربية المهمة التي عُنيت بالخطابة السياسية العربية قديما وحديثا. ويمكن للوقوف على بعض هذه الدراسات -خاصة المكتوبة باللغة الألمانية- الرجوع إلى ببليوجرافيا كتاب كريستينا شتوك (Stock, 1999). وتوجد ببليوجرافيا أقدم نسبيا تتضمن بعض الدراسات المكتوبة باللغة الإنجليزية قدمتها نتالي مزرعاني (Mazraani, 1997).

٨- ليس لدى الباحث إحصاءات تخص ما سبق طرحه. وهو هنا إنما يُقدم حدسا، يأمل أن يتحول إلى فروض يمكن اختبارها كميا في دراسة لاحقة.

بنظرة سريعة إلى المجلدات الضخمة التي تشغلها هذه الخطب، وما تتسم به من ثراء علاماتي.

تتجاوز مظاهر الندرة قلة الدراسات الأكاديمية المعنية بالخطابة السياسية إلى اختفاء هذه الدراسات من السياقات التي يُتوقع أن تُوجد فيها. فعلى سبيل المثال، خلا المؤتمر المنعقد بمعهد اللغات الإفريقية بجامعة القاهرة في يومي ١٧ و١٨ إبريل ٢٠٠٤ بعنوان "اللغة والسياسة في إفريقيا" من أية دراسة تخص الخطابة السياسية. كذلك، خلا العدد رقم (٦٢-٦٣) مايو٢٠٠١ من مجلة "المناهل" المغربية، الذي خُصص لمحور "اللغة والسلطة"، من أية دراسة تخص الخطابة السياسية. وهو الأمر ذاته الذي نجده فيما يتعلق بالعدد ١٩ من مجلة 'علامات' المغربية الصادر في ٢٠٠٣، وكان محوره "الخطاب السياسي في المغرب".

إن نظرةً إلى ما أنجزه الدارسون العرب في هذا المجال ربما تدفعنا إلى التصديق على قول محمد العمري، في حواره مع جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية، المنشور في العددين الصادرين في ٢ و ١٩٩٩/١٠/٤، إن "الخطاب السياسي، كما هو الخطاب حول الجنس، لم يطبَّع بعد، أو لم يُطبَّع بما فيه الكفاية". ويفرض واقع الندرة طرح السؤال حول أسبابها.

يمكن تعليل ندرة الدراسات الأكاديمية حول الخطابة السياسية بتأثير عامل أو أكثر من العوامل الآتية: ١) الخصائص النوعية للخطابة السياسية، ٢) تغير خريطة الأنواع الأدبية، ٣) غياب الحريات الأكاديمية. ومن ثم فإن البحث في أسباب الندرة يمثل مدخلا لفهمٍ أعمق لطبيعة الخطابة السياسية، ويسهم في تعرية واقع الدراسات العربية الأدبية واللغوية ونقده. كما يُمثل مدخلا لفهم التأثير

الذي قد يمارسه واقع اجتماعي أو سياسي محدد على البحث الأكاديمي؛ سواء في اختيار أو استبعاد موضوعات أو ظواهر من دائرة البحث الأكاديمي، أم في اختيار أو استبعاد مناهج أو مقاربات معينة لدراسة موضوع ما. وسوف أتعرض بالتفصيل لكل عامل من هذه العوامل الثلاثة.

٣-١ الخصائص النوعية للخطابة السياسية

تتسم الخطابة بوجه عام بكونها نوعًا genre بلاغيا؛ فهي ذات بنية خاصة ووظائف خاصة. فالخطبة رسالة لغوية منطوقة غالبًا تُنتَج من قبل مرسل معين، وتُستهلَك من قِبَل مستقبل معين، في سياق تواصلي تاريخي معين، بهدف تحقيق وظائف محددة، وتؤثر في إنتاجها واستقبالها معايير اجتماعية وبلاغية وأدائية محددة. ومن ثم فإن أية مقاربة للخطابة السياسية تتعامل معها بوصفها مجرد كتلة من البيانات اللغوية المعزولة عن سياقها تغامر بإغفال ما هو نوعي فيها؛ أعني ما يمنحها وجودا خاصا.

وصف الخطابة بأنها بلاغية، يحيل إلى خاصيتين أساسيتين تميزان ما هو بلاغي هما؛ ١) أنها آنية؛ أي تُنتَج وتُستهلك وتمارس تأثيرها وتتولد الاستجابات الخاصة بها في لحظة تاريخية بعينها بشكل تزامني. ويميزها ذلك عن أنواع أخرى؛ مثل المقال أو الرواية..إلخ. ٢) أنها برجماتية؛ أي أن الخطيب يسعى لإنجاز أغراض محددة من وراء خطبته. هذه الأغراض تخصُّ، غالبا، التأثير في معتقدات وتوجهات وسلوكيات المخاطَبين المستهدفين بالخطبة، بما يخدم مصلحة الخطيب. وتستلزم 'بلاغية' الخطابة السياسية من دارسها اجتهادا في تحديد سياقاتها، وقدرة على الوقوف على دوافعها وأغراضها ومراقبة آثارها.

كما تتسم الخطابة (المعاصرة) بكونها تلفظًا منطوقا مسموعا ومرئيا. وهو من ثمَّ يتميز بثراء علاماتي؛ حيث تتجاور وتتفاعل اللغة مع الصورة والصوت والحركة. ويتطلب هذا الثراء العلاماتي ثراءً في العدة المنهجية التي تدرسه.

وتتسم الخطابة السياسية أخيرًا بأنها تُنقل عبر وسائط إعلامية واتصالية متعددة. فالخطبة قد تُنقل على شاشات التليفزيون أو موجات الأثير الإذاعية أو صفحات الجرائد أو متون الكتب أو جميعها معًا. كما يُعاد إنتاجها في شكل مقتطفات إخبارية أو مانشيتات صحفية. وبعض أجزاء الخطب قد يُنقش ويُنحت على حوائط المؤسسات أو يُطبع على يافطات قماشية تعلق في شوارع المدن، أو يزيِّن أغلفة الكتب والإصدارات. ويثير تعدد الوسائط الناقلة للخطبة وإعادة إنتاجها خطابيًا عددًا من الأسئلة البحثية مثل: ما الذي يطرأ على النص الأصلي من تغيير في سياق إعادة الإنتاج وتغير الوسيط؟ وما الذي يتم استبعاده أو إبرازه من الخطبة؟ كيف يتم تطويع الخطبة لتنسجم مع الوسيط الجديد أو العكس؟ وغيرها من الأسئلة التي تحتاج إلى أدوات معرفية لمعالجتها.

تتطلب دراسة الخطابة السياسية -إضافة إلى ما سبق- معارف متنوعة. يرجع ذلك إلى كون الخطابة السياسية متعددة الموضوعات. إنَّ موضوع الخطابة السياسية هو كل ما يمكن أن يكون سياسيا. ومن الواضح أن ما هو سياسي في الوقت الراهن، وربما في كل العصور، يشمل الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والتاريخي والديني..إلخ. وهو ما يعني أن كل موضوع يمكن أن يكون سياسيا. ويكفي لإدراك هذا التنوع أن ننظر نظرة سريعة إلى الموضوعات والسياقات التي قد يخطب فيها

رئيس دولة ما. يستلزم ثراء موضوعات الخطب ثـراءً معرفيـا موازيـا لـدى دارسيها. فحين يكون موضوع خطبة سياسية ما هو قـانون مـا، أو حـدث تاريخي ما، أو موازنة اقتصادية، أو مناسبة دينيـة..إلخ؛ فـإن علـى دارسـها أن يتحصل على معرفة عميقـة بموضـوع الخطبـة لكـي يكـون مـؤهلا لدراستها.

ربما كانـت التحـديات المعرفيـة الناتجـة عـن ماهيـة الخطابـة السياسية، التي قد يواجهها دارس الخطابة السياسية عاملاً مـن عوامـل نـدرة الدراسات الأكاديمية حولها. ومع ذلك فإن هـذا العامـل -إن صـح كونـه مؤثرا- يمارس تأثيرا ضعيفا بالمقارنة بالعاملين الآخرين اللـذين سـوف يـرد ذكرهما. وذلك لأن لكـل بحـث أكـاديمي صـعوباته وعوائقـه، ولكـل موضوع تحدياته ومشكلاته. والباحث المجتهـد يحـاول معالجـة الـصعوبات والمشكلات، وتجـاوز العوائـق والتحـديات. ومـن المؤكـد أن البـاحثين المجتهدين كثرة في عالمنا العربي. إذن فلننظر في العوامل الأخـرى الـتي تـؤدي بدرجة أكبر إلى تلك الندرة.

٣-٢ تغير خريطة الأنواع الأدبية

العامل الثاني الذي قـد يفـسر نـدرة الدراسـات العربيـة حـول الخطابة السياسية هو تغـير الإدراك الجمـالي للخطابـة الحديثـة والمعاصـرة. ويمكن بالنظر إلى ما تنتجه أقسام الأدب العربي في مصر مـن بحـوث القـول بأن الخطابة قد استُبعدت إلى حـد كـبير مـن دائـرة النـصوص الأدبيـة المدروسة في إطار الدراسـات الأدبيـة والبلاغيـة في الأكاديميـة المـصرية. واقتصر تصنيفها بوصفها نصا أدبيا على بعض الخطب التراثيـة الـتي عُـدَّت

من قبيل المحفوظات الأدبية، في حين لم ينتقل التقدير ذاته إلى الخطب المعاصرة. وقد تزامن ذلك مع تغير خريطة 'الأدبي' الذي تتوجه إليه جهود الأكاديميين العاملين في هذا الحقل.

لقد أدى اتصال العرب بالأدب الغربي -من ضمن ما أدى إليه- إلى تفكيك التصورات الجمالية السائدة، وإعادة إنشائها من جديد. وفي سياق هذه العملية نُزعت صفة الأدبية عن بعض الأنواع، مثل الرسائل والخطب. ومن ثمَّ اعتُبرت الخطابة التراثية منتمية إلى 'الأدبي' البائد، أما الخطابة المعاصرة، والسياسية منها خاصة، فقد استُبعدت من هذا الأدبي. ويمكن أن نختبر ذلك بالنظر إلى أيٍّ من المؤلفات العربية التي تتناول الأنواع الأدبية في العصر الحديث. وسوف نرى أنه نادرا ما أدرجت الخطابة ضمن أنواع الأدب العربي الحديث[٩]. و ربما كان هذا التحول في التصورات الجمالية فيما يتعلق بالأدبي، وانعكاسه على الدرس الأكاديمي، ذا تأثير في تقلُّص الدراسات المعنية بالخطابة في التخصصات الأدبية.

بالإضافة إلى ذلك لم تحظ نصوص الحياة اليومية بعدُ بعناية اللغويين العرب. بل ينظر كثير من اللغويين المصريين إلى هذه النصوص نظرة دونية. ويزداد هذا الموقف سوءًا إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أن المناهج اللغوية التي تُعنى بدراسة هذه النصوص مثل التداولية وتحليل الخطاب مازالت خافتة الحضور في خريطة الدراسات اللغوية العربية في

٩- لم أجد في أيٍّ من كتب الأدب العربي التي تُدرَّس في المدارس الثانوية المصرية العامة أيَّ نصٍ ينتمي إلى الخطابة السياسية الحديثة أو المعاصرة.

مصر على وجه التحديد. ويؤدي ذلك إلى ندرة النصوص الحياتية التي تدرَس في إطار الدراسات اللغوية الأكاديمية، أو إلى الاقتصار على دراسة النصوص الحياتية بوصفها مصدرا للبيانات اللغوية بغض النظر عن طبيعتها النوعية. وهو ما يقود بدوره إما إلى إقصاء الخطابة من اهتمامات التداوليين ومحللي الخطاب، أو إلى تقديم دراسات تحمل لافتاتهما، في حين تمارس تحليلا لغويا تقليديا.

يؤثر العامل السابق تأثيرا كبيرا في واقع الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية ومستقبلها. فغياب تحديد واضح لموقع الخطابة من خريطة ما هو أدبي قد يؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى استبعاد الخطابة من دائرة الدرس الأدبي. وإذا لم يعوَّض هذا الاستبعاد بواسطة إدراج نصوص الحياة اليومية ضمن اهتمامات اللغويين الأكاديمية وتدعيم المناهج التي تدرسها فسوف تُستبعد الخطابة نهائيا من دائرة البحث في اللغة والأدب.

٣-٣ غياب الحريات الأكاديمية

العامل الثالث الذي يؤثر بقوة في واقع الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية ومستقبلها هو ضعف -وربما غياب- الحريات الأكاديمية. إن نشأة العلوم والمعارف وتطورها أو اندثارها، والتحولات التي تحدث لها لا تخضع لسيرورة العلم الداخلية فحسب، بل تتأثر كذلك بما يبدو خارجيا عنها؛ ممثلا في القوى -غير الأكاديمية- التي توجد في المجتمع. وفيما يتعلق بموضوع بحثنا فإنه يبدو أن تأثير القوى المجتمعية غير

الأكاديمية؛ خاصة القوى السياسية، في البحث الأدبي واللغوي هو العامل الأكثر تأثيرًا في ندرة الدراسات العربية المعنية بالخطابة السياسية المعاصرة.

على مدار قرون طويلة كان البحث في لغة السياسيين طريقا محفوفا بالمخاطر. وربما سيظل المثال الأوضح على المخاطر التي كان يمكن أن يتعرض لها العربي الذي يصف خطب السياسي أو ينقدها، هو الحادثة التي رواها المبرد في كتابه "الكامل في اللغة والأدب"، وحكى فيها أن يحيى بن يعمر قد صارح الحجَّاج بن يوسف الثقفي -طاغية الدولة الأموية في القرن الثامن الميلادي- مرةً بما يقع في كلامه من اللحن، فتوعده الحجَّاج وخيَّره بين القتل أو النفي جزاء مصارحته بالخطأ النحوي أو الصرفي، وقد اختار يحيى النفي[١٠]. وعلى الرغم من مرور قرون على هذه الحادثة، وتحول المُلك العضود إلى جمهوريات عضود، مازال هذا المثال دالا على بعض جوانب الواقع المعاصر.

تضرب الخطابة السياسية بجذورها في قلب السياسة؛ ومن ثم فإن كل دراسة للخطابة السياسية -تراعي خصوصياتها النوعية- تقع بدورها في قلب السياسة. وقد غُلِّف السكوت عن دراسة الخطابة السياسية، خاصة في بعدها النقدي، بأسطورة شائعة تخص ما يُعرف بالتابوه. فالسياسة، شأنها شأن الجنس والدين، يتداول العامة نعت الكلام فيها أو حولها بأنه من المحرمات. ومن المعتاد -في أقطار العالم العربي- أن تسمع عبارة ***"أنا لا أتكلم في السياسة"***. وهي عبارة لم تعد تثير اندهاشًا.

١٠- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦ هـ). الكامل في اللغة والأدب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠. ج١، ص ١٦٤.

ولكن لابد أن نتدهش حين نسمعها أو نقرأها لدى باحث يدرس الخطابة السياسية.

لقد أشرتُ إلى أسطورة التابوه عن قصد. فالأسطورة، بوصفها شكلاً من أشكال الوعي الزائف، تجعلنا نضفي على الشيء صفات ليست منه؛ لكوننا عاجزين عن معرفته أو مقاومته. إن من يؤمن بأن الكلام في الدين أو الجنس أو السياسة تابوه، يهرب من عجزه عن مواجهة من يقيدون حقه في الكلام عن طريق إدراك الكلام بوصفه محرما في ذاته؛ أي محرم بطبيعته دون تدخل خارجي. وهو ما يؤدي إلى التخلص من عبء المواجهة من ناحية، وإلى تأبيد التابوه وإضفاء الشرعية عليه من ناحية أخرى.

من المؤسف أن التابوه يعمل داخل الأكاديمية، كما يعمل في الشارع، وإن كان عمله أكثر خفاءً وخطورة[١١]. ويمكن القول إن عزوف الكثير من الباحثين عن دراسة الخطابة السياسية يرجع إلى غياب الحريات الأكاديمية التي تكفل لأي باحث دراسة ما يختاره من موضوعات ما دام ملتزما بشروط البحث العلمي وأخلاقياته. وفي ظل التعامل مع خطب الساسة المعاصرين بوصفها نصوصا 'مُحرَّمة' سوف يستمر غيابها عن الدرس الأكاديمي. ومن ثم سوف تستمر في أن تهيمن وتسيطر دون مساءلة أو نقد.

١١- ذكر لي أحد الزملاء ممن يعملون في كلية عريقة تُدرِّس علوم اللغة العربية وتراثها أن زملاءه قد دأبوا على رفض الإشراف على الدراسات التي يقترحها طلاب الدراسات العليا، ويكون موضوعها الخطابة السياسية لأيٍ من رؤساء مصر الراحلين. وأنه يتم توجيه الطلاب نحو دراسة موضوعات أخرى.

يذكر بنجامين جو وايت أن علماء البلاغة في ظل الدكتاتوريات الإغريقية لم يكونوا قادرين على دراسة الخطابة السياسية لانعدام الحرية السياسية؛ حين تحول المواطنون الأحرار إلى عبيد تحت بطش الحكم الديكتاتوري. وقد دفعهم ذلك إلى الانصراف إلى التحليل اللغوي للأعمال الأدبية للأدباء المعاصرين لهم. ويضرب أمثلة على ذلك بديونيسيوس الطرسوسي الذي انصرف عن دراسة الخطابة السياسية إلى دراسة تركيب الجملة، وهيروموجينيس الذي انصرف عنها إلى تأليف دليل لتعليم أساليب الكتابة الأدبية[١٢]. وما أشبه الليلة بالبارحة. فقد اختار فريق من 'الطرسوسيين' المحدثين أن يدرسوا الخطابة السياسية بوصفها مجرد مادة لغوية لا تُنجِز شيئا ولا يتلقاها أحد. مادة تُنتَج وتُستهلك في فضاء سديمي، بلا وظيفة أو غاية أو تأثير. وثمة فريق آخر - وهم الفائزون!- اختار أن يجني ثمارا سريعة ومضمونة؛ وهؤلاء إما يدرسون الخطابة السياسية ليساعدوا السياسيين على تحقيق أهدافهم بواسطتها فيتحولون من باحثين إلى محررين للخطاب، أو يدرسونها بهدف تمجيد السياسيين، والكشف عن آلاء بلاغتهم، وإعجاز كلامهم!! فيتحولون من باحثين إلى جوقة ومنشدين. وما بين هؤلاء الطرسوسيين -على اختلافهم- يتفرق دم البحث العلمي والأكاديمية معا.

إننا -كباحثين عرب- بحاجة حقيقية لإدراك طبيعة القوى التي تؤثر في توجهات البحث الأكاديمي واختياراته. وأن نكون عنيدين أمام

١٢- نقلا عن راغب، نبيل. (٢٠٠٣). عناصر البلاغة الأدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة. ص١٦-١٧.

أي تقييد لحرية البحث العلمي؛ إلا من داخله. ومع ذلك لابد أن نتعاطف مع أنفسنا حين يُجبَر بعضنا أن يكون 'طرسوسيا'؛ أملا في أن يحفظ رأسه، أو أن يبني قصره، كل ما عليه فحسب هو أن يدرك أن ما يفعله ربما ليس بأفضل الخيارات التي قد ينحاز لها العالِم.

خاتمة: مستقبل الدراسات العربية حول الخطابة السياسية

يبدو الحديث عن مستقبل أي فرع معرفي للدراسات اللغوية والبلاغية العربية أمرا غير مألوف في الأكاديمية المصرية؛ فكثير من الباحثين المصريين يتحركون -غالبا- وفقا لآلية المحاكاة والتقليد. وفق هذه الآلية يقوم 'الباحث' بمحاكاة دراسة سابقة محاكاةً شبه حرفية، مستنسخا أبوابها وفصولها مع التطبيق على مدوَّنة مختلفة. ويصبح عمله الأساس هو الحصول على أمثلة مشابهة من مدونته، تشبه أمثلة المدونة التي تناولتها الدراسة التي يحاكيها. ويؤدي شيوع هذا النوع من 'الدراسة' - من ضمن ما يؤدي إليه- إلى غياب تفكير الباحثين في مستقبل العلم؛ فالماضي وليس المستقبل هو محور الاهتمام. وإذا أخذنا في الاعتبار - بالإضافة إلى انتشار هذا النمط من 'الدراسة'- حقيقة ضعف اتصال معظم الباحثين المصريين المعاصرين بالدراسات المعاصرة في مجالات تخصصهم؛ فإنه ربما يكون من الصعب إلى حد ما التفاؤل بمستقبل أفضل لحقل الدراسات اللغوية والبلاغية في مصر.

ينطبق الحكم العام السابق بدقة على فرع دراسات الخطابة السياسية. بل يزداد الوضع تشاؤمًا نتيجة للأسباب التي سبق أن أوردناها في سياق التعليل لندرة الدراسات العربية حول الخطابة السياسية. ومع

ذلك فإن ثلةً من الباحثين المخلصين للعلم يمكن أن يغيروا الكثير من واقع دراسات الخطابة السياسية. ويبقى الأمل مرهونا بوجود هؤلاء، وليس بأي شيء آخر. فأمثال هؤلاء الباحثين يستطيعون إعادة صياغة خريطة الموضوعات التي يجب أن تحظى بأولوية الدرس في إطار فرع معرفي ما وفقا لمعايير أكاديمية -وربما 'إنسانية'- منضبطة وفاعلة. وبإمكانهم كذلك أن ينفتحوا بوعي على النتاج الأكاديمي المعاصر في لغات وثقافات أخرى، وأن يأخذوا منه وأن يضيفوا إليه. وبإمكانهم أخيرا أن يرسموا بعض معالم مستقبل أفضل ليس لحقل دراسات الخطابة السياسية أو لحقل دراسات اللغة والبلاغة فحسب، بل للوطن كله.

مصادر البحث ومراجعه

مصادر ومراجع عربية:

أبو زهرة، (الإمام) محمد. (١٩٣٤). الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها. دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢ [١٩٨٠].

جمعة، محمد لطفي. (١٩٩٩). الأسلوب والخطابة عند العرب والإفرنج. عالم الكتب، القاهرة.

الحوفي، أحمد محمد. (١٩٧٢). فن الخطابة. نهضة مصر، القاهرة، ط٢ [١٩٩٦].

عكاشة، محمود. (٢٠٠٢). لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

فهمي، محمد عباس. (١٩٧٦). من أجل وحدة وطنية حقيقية وفي سبيل انتصار نهائي على العدو: مناقشة نقدية لخطب الرئيس السادات. دار الحقيقة للنشر، القاهرة.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦ هـ). الكامل. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، تشر دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١.

محمد، عبد العليم. (١٩٩٠). الخطاب الساداتي: تحليل الحقل الإيديولوجي للخطاب الساداتي. كتاب الأهالي، القاهرة.

مرزوق، عبد الصبور. (١٩٦٧). الخطابة السياسية في مصر من الاحتلال البريطاني إلى إعلان الحماية. دار الكاتب العربي، القاهرة.

راغب، نبيل. (٢٠٠٣). عناصر البلاغة الأدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب: مكتبة الأسرة، القاهرة.

النص، إحسان. (١٩٦٣). الخطابة العربية في عصرها الذهبي. دار المعارف، مصر ط١.

نصر، مارلين. (١٩٨١). التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢- ١٩٧٠): دراسة في علم المفردات والدلالة. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ولد سيدي، أحمد. (١٩٩٨). تحليل الخطاب السياسي: دراسة اثنوغرافية- اتصالية في الخطاب السياسي الموريتاني. رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

مراجع أجنبية:

LANDTSHEER, C. (1998). "Introduction to the Study of Political Discourse", in Landtsheer, C. and Feldman, O. (eds). *Politically Speaking. A Worldwide Examination of Language Used in the Public Sphere*. Wesport, CT: Praeger.

MAZRAANI, N. (1997). *Aspects of Language Variation in Arabic Political Speech-making*. Richmond, Surrey: Curzon Press.

STOCK, K. (1999). *Sprache als ein Instrument der Macht: Strategien der arabischen politischen Rhetorik im 20.Jahrhundert*.Wiesbaden: Reichert